رحلة مريرة بين الكويت والسعودية

نافع وملاك الجوف .. زمن المعجزات لم ينته

سمير خضر

طالما نجح مؤلفو القصص والروايات في اختلاق الحكايات من وحي خيالهم بل وأجادوا الحبكة الدرامية التي تنقل القارئ بكل جوارحه إلى عالم الخيال ، بل وتمتزج مشاعره بحروف القصة وتميل تعاطفاً مع أبطال الروايات ، لكن في السطور القادمة سننقلكم إلى قصة حقيقية أبطالها طفل صغير وأم أصرت على إنقاذ حياته مهما كلفها الأمر .، وسيدة شجاعة ضربت بعرض الحائط نصائح المقربين منها لإثنائها عن القرار الصعب.

تنطلق تفاصيل القصة التي تروى أحداثهاأم نافع ، مشيرة إلى مدى حبها الكبير لابنها الذي ولد في سبتمبر 2007 بمستشفى الجهراء في يوم تعتبره الأفضل، حيث رأت ذاك الوجه الملائكي الذي حملته 9 أشهر في احشائها ، مؤكدة انها لم تكن تشعر يوما بالألم خلال فترة الحمل.

تأخذ القصة منحى جديدا على لسان الأم وتحول حزنا في مجرياتها فقد كبر نافع الحربي وبات في عمر الـ 3 سنوات وبدأت والدته تلاحظ ظهور حبوب حمراء تركزت على «أكواع» و«ركب» الصغير ، مما أوجب نقله إلى طبيب متخصص في الأمراض الجلدية لظن الوالده أنه إكزيما أو مرض جلدي ، لكن المفاجأة التي كشفتها التحاليل عقب تحويله لطبيب أطفال متخصص أن الطفل مصاب بارتفاع شديد في الكولسترول بالدم.

صرفت له الأدوية اللازمة ولكنها لم تفلح في خفض نسبة الكولسترول العالية لمدة عام كامل مما ترتب عليه تضرر الكبد العضو المسؤول عن الكولسترول الضار والنافع في الجسم ، فاستقالت الأم من وظيفتها بالكويت ورجعت بابنها نافع إلى موطنها في السعودية ، وهناك تم تحويل الطفل إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض ، ثم بدأت بعد ذلك جولة مريرة مع عدة مستشفيات في الكويت والسعودية والأردن، حتى شيوخ الدين في أماكن عدة .

لم تيأس الأم المكلومة في ولدها واتجهت بالدعاء وقيام الليل والعبادة إلى ربها ضاربة بكلام الأطباء الموجع عرض الحائط ، مضيفةً : يجب على أي أم لديها طفل مريض معاملته على أنه طبيعي ، وذكرت أنها علمت نافع أن له رب يرعاه بيده ملكوت السموات والأرض ، حتى انه رغم المرض الشديد استمر نافع في دراسته مع متابعة المستشفيات كل شهرين .

بقع حمراء صغيرة على اليدين والرجلين كانت مؤشراً خطيراً

الأم استقالت من عملها بالكويت وعادت إلى موطنها بالسعودية لتبدأ المعاناة

مرت الأيام ولم يظهر متبرع بالكبد ، ودوره بعيد جداً على قائمة الانتظار الطويلة ، تحليل الأب لم يكن مناسبا وكذلك الأم لم تكن مناسبة للتبرع وبدأ جسد الطفل ينحف والصمام «الأبهر» في القلب يحدث له ارتجاع بسبب كثرة الكولسترول بالدم ، وانطلقت الوالدة تحمل بين ثناياها الأمنيات إلى مواقع التواصل الاجتماعي «تويتر – انستغرام» بحثاً عن متبرع .

بشارة ريف

وفي إحدى المراحل الهامة جاء بصيص من الأمل بعد رفع أوراقه للسفر إلى الخارج تمت الموافقة على علاجه في الولايات المتحدة الأميركية على حساب خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز ، وتقول الأم قبل أشهر وصلتها رسالة من «ريف» وهي ابنة صديق زوجها وأمها صديقتها أيضا ، حيث تؤكد أنها البداية لفصل جديد من القصة بعنوان « نافع ونديم «

«ريف» أرسلت إلى أم نافع «سناب» ، سيدة لديها فتاة تريد أن تتبرع بجزء من كبدها ، وعلى الفور تواصلت معها أم نافع وهي تحمل بين وجدانها وعينيها روح طفلها المريض ينتظر كلمة واحدة وهي «موافقة» ثم حضرت في المشهد صدمة غير متوقعة حيث ابلغتها لسيدة أن الفتاة المتبرعة اختارت شخصين وتقوم بالمفاضلة بينهما لاختيار شخص واحد فقط .

كان وضع نافع غير مطمئن فيما حدد الأطباء موعداً لوفاته التي باتت شبه محتومة، في عدم وجود متبرع دب اليأس في عروق الوالدة وهي عاجزة عن إنقاذ ولدها ، وفي هذه الأثناء واجهت الأم فاجعة جديدة بوفاة أخيها القريب من قلبها وأصبحت تتهاوى عليها المصائب واحدة تلو الأخرى وهي تصبر وتحتسب عند الله .

لم تيأس يوما واستمرت في رحلة البحث عن متبرع لنافع

الفرج قريب

لاحت ابتسامة باهتة لأم نافع بعدما قصت لها والدتها أن جد نافع «المتوفي قبل 18 عاما» زارها في المنام وبشرها في الرؤية طالبا الاستعجال في عملية نافع وأن الفرج قريب

نافع ونديم

ما هي إلا أيام معدودة وبدأ الحلم يتحقق فراسلتها «نديم السرحاني» ذات الـ 27 عاما ومتزوجة ولديها 4 أطفال ، و«نديم» هي المتبرعة المذكورة سابقاً والتي تريد القيام بعمل يكون هدية لروح والدها «عابد جلال السرحاني»

بدورها أجرت «نديم» كل التحاليل المطلوبة ثم اختارت التبرع لنافع ، بعد ذلك جاءت مكالمة هاتفية من السفارة السعودية في أميركا وسريعاً حدد موعد العملية في 4–4–2018 لتقترب القصة من نهاية الفصول الحزينة لـ «ملاك الجوف» والطفل نافع مع التحول الدراماتيكي الأخير.

ليلة عصيبة

قبل ليلة من دخول غرفة العمليات كان نافع خائفا بل مرعوبا حتى انه قال لأمه « إذا مت يايمه بالعملية أشوفك بالجنة» .. فلم تستطع الرد عليه، ثم فاجأها بأنه سيرسل مقطع فيديو لنديم قائلا: «مرحبا نديم شكرا انك بتعطيني من كبدك عشان أبي أكبر وأنا بخير مع أمي وابوي .. ما أبي أموت» .. وهنا انهارت الأم وهرعت الى خارج الغرفة باكية من هول الموقف.

توتر وانتظار

دقت الساعة الـ 8 من صباح اليوم المحدد وجهز الأطباء «نديم» ، وأصاب التوتر أهلها المصاحبين لها، وفي الساعة

بصيص أمل لاح في الأفق عبر «سناب شات» بواسطة «نديم»

الـ 10 خرجت الفتاة من غرفة العمليات وفاقت من التخدير ، في الساعة 11 جاء دور نافع فشرعت الأم بضعف وثقل في خطوات أقدامها والخوف أصاب نافع وقت حضور طبيب التخدير الذي اخذ يداعب نافع لطمأنته ، بعد ذلك خرجت الأمسريعاً ، ذهبت لتصلي وروحها متعبة تواسيها ببعض العبارات فيما انشغلت عيون أهل الزوج بالدموع والبكاء وتوالت المكالمات الهاتفية من أهلها وهي جالسة أمام غرفة العمليات تنتظر خروج فلذة كبدها حيث انتهت العملية في الساعة الـ 5 وخرج الطبيب ليبلغهم بنجاح العملية ثم نقل نافع إلى غرفة العناية المركزة حتى تستقر حالته .

في تلك الأثناء قررت الأم زيارة «نديم» رغم صعوبة الزيارة لكنها تمكنت من الدخول وأمسكت بيدها وهي نائمة والأجهزة مرتبطة بأسلاك في سائر جسدها الطاهر ووجهها يشع نورا حيث فتحت عينيها وابتسمت ، وما هي إلا لحظات حتى خرجت ام نافع مسرعة إلى خارج المشفى تسير في الشوارع هائمة تستنشق الهواء النقي وأرسل إليها الله أمطار غزيرة من السماء أزالت الهموم التي صاحبتها طوال سنوات.

صبر وفرج

كان الفرج حليف الصبر وثمرته بعد المعاناة الكبيرة والمحن العظيمة التي مرت بها ، مضت الأيام وباتت ملاك الجوف «نديم» بخير والطفل نافع ايضا ، بعد زارعة الكبد لتسدل الستار على المعجزة .

أنه مشهد يقف له الزمن حائراً ويسبح أمامه البشر، حمدا لله الذي أرسل لنا الحكمة والعظة من خلال صبر أم على مرض ابنها ، ومتبرعة جسورة قررت أن تقتطع من جسدها ليعيش شخص آخر «دون مقابل» بل تقرباً إلى الله سبحانه.

حقاً.. زمن المعجزات لم ينته ، ولكن علينا ألا نقنط من رحمة الله .

دب اليأس في عروق الأم بعد أن حدد الأطباء موعداً لوفاة نافع

9 ساعات من التوتر والانتظار.. بعدها جاء الخبر الموعود